

الحلقة السادسة والثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، هناك بعض الحواجز التي قد تمنع الإنسان من اتخاذ قرارات هامة في حياته ستأتي بالفائدة عليه. فهناك مثلاً الحواجز العائلية، والحواجز الاجتماعية، والحواجز القومية، والحواجز الدينية والعرقية وغيرها. وكل هذه الحواجز تكون حواجز نفسية أكثر منها حواجز مادية. فالشاب الغني الذي يحب فتاة فقيرة لا يستطيع الزواج منها بسبب الحواجز الطبقيّة والاجتماعية التي تمنع زواجه منها، وإلا خسر علاقته بأهله وأصدقائه وأصبح منبوذاً بالنسبة لهم. وكذلك الطالب لا يستطيع أن يدخل إلى الكلية التي تعجبه لأن والديه يريدان منه أن يصبح طبيباً أو مهندساً. وقس على ذلك الكثير.

هل تعلم مستمعي أن هناك أيضاً حواجز كثيرة قد تمنع الإنسان من الإيمان بالمخلص يسوع المسيح؟ فهناك أولاً الحواجز الدينية، ثم الحواجز الاجتماعية والعائلية. ولكي يؤمن الإنسان عليه أن يتخطى كل هذه الحواجز وغيرها. ولهذا نراه يتردد كثيراً من الإقدام على مثل هكذا خطوة هامة في حياته.

جاء مرّة المخلص المسيح إلى مدينته الناصرة حيث تربى، وأخذ يعلم في المجمع، أي المكان الذي يجتمع فيه الناس للعبادة. لكن أهل مدينته عندما سمعوه تعجبوا وبهتوا من تعليمه وأخذوا يتساءلون: «مَنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَاتُ؟ أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ أَوْ لَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ كُلُّهَا؟» فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ». وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ» (بشارة متى ١٣: ٥٤-٥٨).

مستعمي الكريم، لقد كان الحاجز الذي منع سكان مدينة الناصرة من الإيمان بالمسيح، هو معرفتهم به شخصياً، وهو الذي قد تزيى بينهم. فهو بالنسبة إليهم ابن النجار، ويعرفون أمه مريم وإخوته وأخواته. فمن أين له هذه المعرفة الإلهية الفائقة والقدرة العجيبة على تفسير كتب التوراة وأسفار العهد القديم؟ حقاً إنه أمر مستغرب، ولهذا لم يؤمن أهل الناصرة بالمسيح وشكوا به وبرسالته. لكن المخلص المسيح أجابهم بحق أنه: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ». إذ هذه هي الحقيقة، أي الحاجز الذي منعهم من اعتباره أو الإيمان به أنه المخلص المنتظر. وهو حاجز انتمائه إليهم كشعب وعائلة.

أجل إن المخلص المسيح، والذي كان ينتظره الشعب بفارغ الصبر تتيمناً للنبوءات، أصبح بلا كرامة ولا احترام في وسط مدينته وبين أهل بيته. وهذا ما دفع المسيح بالتالي لكي لا يُجري أية عجيبة أخرى بينهم بسبب عدم إيمانهم. أي كانت النتيجة أنهم خسروا بركاته وعجائبه. أليس هذا ما يحصل مع الكثيرين حتى في أيامنا هذه؟ فهناك حواجز وعقبات كثيرة تقف بينهم وبين الإيمان بالمخلص المسيح والحصول على بركات الله وغفرانه. ولعلّ أهم هذه الحواجز هو المعتقدات الدينية. قد يستغرب البعض ويتساءل: هل من الممكن أن تكون المعتقدات الدينية هي الحاجز؟

وللجواب نقول: نعم إن المعتقدات الدينية المختلفة قد تقف حاجزاً ومانعاً بين الإنسان وإيمانه بالمخلص المسيح. فالشخص الذي لا يعتقد بموت المسيح الكفاري على الصليب من أجل خطايا البشر، وأيضاً الذي يظن أن المسيح هو مجرد نبي وليس كلمة الله المتجسد، من الصعب عليه أن يؤمن بالمسيح المخلص. وهناك حواجز عائلية واجتماعية عديدة، فالعائلة لا يمكن أن تسمح لأحد أفرادها أن يؤمن بالمسيح المخلص على عكس مذهبها. والمجتمع لا يقبل أن يصبح أحد أفراده مؤمناً بالمسيح. وأمام هذه الضغوط العائلية والاجتماعية الكبيرة لا يستطيع المرء أن يؤمن بالمسيح، وإلا تعرّض للاضطهاد الشديد والعزل.

دعا مرّة المخلص المسيح أحدهم لكي يتبعه فقال: «يا سيّد، اندنّ لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي». فقال له يسوع: «دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فأذهب وناذ بملكوت الله». وقال آخر أيضاً: «أتبغك يا سيّد، ولكن اندنّ لي أولاً أن أودّع الذين في بيتي». فقال له يسوع: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَابِ وَيَنْتَظِرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ» (بشارة لوقا ٩: ٥٩-٦٢).

لقد كانت هناك حواجز وموانع مختلفة حالت دون اتباع هذين الشخصين للمسيح. فالأول كانت عنده واجبات عائلية بدت هامة بالنسبة له، عليه أن يقوم بها أولاً. أما الثاني فكان عليه أن يودّع أهله قبل أن يتبع المسيح. يبدو واضحاً أن هذين الشخصين كانت

عندهما حواجز عائلية واجتماعية. لم يكن قصد المسيح أن يمنع هذين الشخصين من القيام بواجباتهما العائلية والاجتماعية. لكن لم يرد أن يقدم أذاراً وحججاً تمنع اتباعهما له. لأن اتباع المسيح يجب أن يكون هو الهدف الأول في حياة الإنسان وليس واجباته العائلية والاجتماعية. إذن لقد كانت الواجبات العائلية والاجتماعية هي الحاجز بالنسبة لهما.

لهذا نجد المسيح يقول للأول: «دَعِ الْمُوتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَادْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ». أي عليك أن تجعل ملكوت الله في اهتمامك الأول. أما للثاني فقال له: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ». أي عليك أن لا تنظر للوراء إذا أردت أن تكون صالحاً لملكوت الله.

وماذا عنك مستمعي الكريم؟ ما هي الحواجز التي تقف عائلاً بينك وبين الإيمان بالمخلص المسيح؟ هل هي حواجز المعتقدات الدينية؟ أم الحواجز العائلية والاجتماعية؟ وهل تعلم أنك بذلك تمنع حصولك على خلاص الله وغفرانه الكامل والتمتع بسلامه العجيب وكل البركات الروحية المختلفة؟ لقد أتى المخلص المسيح إلى عالمنا لهدف إنقاذنا نحن البشر الخاطئة. فهو المخلص الوحيد الذي مات على الصليب لكي يغفر خطايانا، ثم قام من بين الأموات لكي يهبنا الحياة الجديدة والخلود. فأرجو مستمعي أن تأتي تائباً ومؤمناً بالمسيح، وأن لا تجعل الحواجز المختلفة أن تقف حائلاً بينك وبين قبول خلاص الله الثمين.